الكتابات الصوفية في الجزائر
قراءة عامة في الببليوغرافيا

أ. بلغيث عبد القادر

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة- الأغواط، الجزائر.

ملخص:

من خلال هذا البحث سوف نتعرض لأنواع الكتابة الصوفية التي اهتم بها شيوخ التصوف في الجزائر، والتي تنوعت بين الكتابة في السلوك والعرفان والمناقب، إضافة إلى الكتابة في الدفاع عن التصوف ومشروعيته، ولقد اهتمت الجزائر بهذه الكتابات في مختلف عصورها التاريخية، إلا أن الفترة الاستعمارية الفرنسية عرفت ازدهار كبيرا في هذه الكتابة، فقد نشطت في هذا الميدان الطريقة الدرقاوية بمختلف فروعها في الغرب الجزائري، ونرى نفس الشيء بالنسبة للطريقة الرحمانية في الشرق الجزائري، ولقد اشتهر في ذلك العيديد من شيوخ التصوف لعلّ من أبرزهم الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ محمد ابن سليمان المستغانمي والشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي ومحمد ابن عبد الرحمن باش تارزي.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الطريقة الرحمانية ، الطريقة الدرقاوية ، محمد ابن سليمان، الأمير عبد القادر، أحمد ابن مصطفى العلاوي، محمد ابن عبد الرحمن الأزهري.

***Abstact* :**

In this research we will be exposed to the types of Sufi writing which are interested by Sufi sheikhs in Algeria, which differ between writing in behavior, mysticism and virtues. In addition to writing to defend Sufism and its legitimacy, Algeria was interested in these writings in different historical eras, However, the French colonial period was characterized by great prosperity in this writing, and in this area, the Tariqa of Drakawi in its various branches was active in the Algerian West, We see the same thing for the Tariqa Rahmaniyya in the east of Algeria, Many of the Sheikhs of Sufism have become famous for this . The most prominent of them are: Prince Abdul Qader Al-Jazaeri, Sheikh Muhammad Ibn Suleiman Al-Mostaghanmi, Sheikh Ahmed Bin Mustafa Al-Alawi and Muhammad Ibn Abdul Rahman Bash Tarzi.

Keywords: ***Sufism, the Tariqa Rahmaniyya, the Tariqa of Drakawi, Muhammad Ibn Suleiman, Prince Abdul Qader, Ahmad bin Mustafa Al-Alawi, Mohammed bin Abdul Rahman Al-Azhari.***

مقدمة:

نقصد بالنصوص الصوفية هي كل ما كتب عن التجربة الصوفية التي يعيشها سالك طريق التصوف سلوكا وعرفانا، إضافة إلى ما يتعلق بهذا من كتابة تاريخ رجال التصوف وأورادهم وأحوالهم، إن هذا التنوع في الكتابة الصوفية كان له حضور كبير في تاريخ التصوف الجزائري، وذلك بظهور عدة شيوخ في هذا الطريق في هذه البلاد، في مختلف العصور الوسيطة والحديثة والمعاصرة .

وسوف نتعرض في هذا البحث لأنواع الكتابة الصوفية التي اهتم بها شيوخ التصوف في الجزائر في مختلف العصور، كما سنرى كيف تطورت هذه الكتابة؟ ومن هم أبرز الشيوخ الذين

ساهموا بإثراء التراث الصوفي الجزائري بكتاباتهم في هذا الميدان؟ وماهي أهم الطرق والمدارس الصوفية التي ساهمت برصيد مهم في هذا المجال؟

ومن خلال اطلاعنا العام للتراث الصوفي الجزائري يمكن تصنيفه إلى أربعة أشكال، الأول كتب التراجم والمناقب الصوفية، والثاني الكتابات السلوكية، والثالث الكتابات العرفانية، أما الشكل الرابع فهو الكتابات التي دافعت عن التصوف وشرعيته .

1- **كتب التراجم والمناقب**:

ومن الكتابات الصوفية التي عرفت رواجا وحضورا في ساحة الثقافة الدينية الإسلامية الكتابة المناقبية، وهي الكتابة التي تهتم بذكر مناقب وفضائل شيوخ التصوف، وأهمية هذه الكتابة تكمن في التأريخ للتصوف الإسلامي، وطرقه، ومعرفة موقعه التاريخي اجتماعيا وسياسيا وثقافيا، هذا إضافة إلى احتوائها على بعض علوم التصوف في التربية والسلوك والحقائق والعرفان.

ومن أهم الكتابات المناقبية التي ظهرت في الجزائر خلال العصر الوسط "**كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية**" لمحمد بن عمر الملالي الذي تكلم فيه عن حياة الإمام محمد بن يوسف السنوسي وأعماله وحياته الصوفية ومناقبه[1]. ومن كتب المناقب المشهورة "**كتاب بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار**" الذي ألفه محمد الصباغ القلعي وقد ترجم فيه للشيخ أحمد بن يوسف الملياني وقد أكثر في هذا الكتاب الحشو والأخبار المفصلة فقام باختصاره بعض المهتمين بحياة الملياني فاختصره مؤلف مجهول فاقتصر على ما كان متصلا بحياة الملياني مباشرة[2]، كما قام الشيخ علي بن موسى الجزائري بنفس العمل في كتابه "**ربح التجارة**" اعتمادا على كتاب الصباغ[3].

وتعد "**أرجوزة الفلك الكواكبي**" لأبي عبد الله المغوفل من النصوص التي أرخت لصلحاء وادي شلف من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري، فتحدثت هذه الأرجوزة عن أخبارهم ومناقبهم، كما تحدث عن خصائص المريدين وصفات الأولياء وما يتعلق بعلوم التصوف[4]. وفي نفس العصر نظم الشيخ أحمد البوني "**منظومته الدرة المصونة**" التي ترجم فيها

لصلحاء بونة ، كما خصص الشيخ محمد بن محمد الموفق بن حوا منظومة للحديث عن مناقب وصلحاء مدينة مستغانم وهي "**سبيكة العقيان فيمن بمستغانم وأحوازها من الأعيان**".

ومن الكتب التي واصلت التأريخ لظاهرة التصوف في الجزائر في بداية العهد العثماني كتاب "**مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**" البطيوي وقد ترجم المؤلف في هذا الكتاب لشيخه ابن مريم صاحب البستان الذي حلاه بشيخنا وبركتنا ووسيلتنا إلى ربنا السيد الإمام الحسن النظام محمد بن محمد المكنى بابن مريم، وتكلم أيضا عن شيوخه وتلاميذه في العلوم الظاهرة والباطنة، وذكر مؤلفاته وقد جمع هذا الكتاب بين كونه كتابا في المناقب وكتاب في التربية والسلوك الصوفي، كما يظهر من خلال اسمه، وقد أدرج فيه مجموعة من تراجم علماء عصره مثل أحمد بن ونيس وأحمد الوهاصي ومحمد بن يوسف السنوسي وغيرهم، فذكر تراجمهم وأعمالهم[5] .

وألف محمد بن سليمان "**كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين**" بعد كتاب مطلب الفوز والفلاح بقليل وقد تضمن الكثير عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية[6]، وقد شرح المؤلف في كتابه هذا قصيدة شيخه موسى بن على اللالتي المعروفة بقصيدة "**حزب العارفين**" فدرس فيها أحوال عصره وحال التصوف ورجاله، مثل التازي والثعالبي والهواري وغيرهم، وهو بذلك يعتبر من أعمال المناقب والتراجم، وهذا العمل استمرار لعمل ابن مريم والبطيوي كما يعتبر عملا مكملا لعمل الفكون في كتابه "**منشور الهداية**" الذي تكلم فيه عن التصوف في الشرق الجزائري[7].

وتعد "**منظومة بغية الطالب وفي ذكر الكواكب**" لأبي مهدي عيسى بن موسى التوجيني من أهم النصوص التي ترجمت لأولياء غريس فقام بشرحها الشيخ العربي بن عبد القادر المشرفي، وقام بشرحها أيضا محمد السليماني الغريسي الفاسي فسما شرحه "**تسهيل المطالب لبغية الطالب**"[8]، فترجم في مقدمة الكتاب لصاحب النظم، فذكر أنه من أهل غريس من قبيلة بني توجين الزناتية، وذكر شيوخه، وقال أنه عاش خلال القرن العاشر الهجري وتوفي في سنة 962هـ، وقد نشر هذا الكتاب الهاشمي بن بكار ضمن كتابه مجموع النسب[9] .

كما عرفت "**منظومة عقد الجمان النفيس**" التي ترجمت لصلحاء منطقة غريس أيضا خلال العهد العثماني العديد من الشروح منها شرح الشيخ محمد الجوزي المزيلي في شرحه "**فتح الرحمن في شرح عقد الجمان**"[10]، وشرح أبو راس الناصري أيضا هذه المنظومة شرحين الأول "**شرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أولياء غريس** والثاني **شرح الجمان للشيخ عبد الرحمن**"[11].

ولأبي راس في تاريخ شيخه المشرفي ومناقبه كتاب "**القول المكفي في شرف ومناقب شيخنا المشرفي**" وهو في ترجمة شيخه عبد القادر المشرفي. وقد جمع كتاب "**ياقوتة النسب الوهاجة**"[12] الذي ألفه العربي للمشرفي بين الأنساب والمناقب نخصص القسم الرابع من هذا الكتاب لترجمة مطولة للشيخ محمد بن علي مولى مجاجة، فذكر نسبه الشريف، وبين أنه ينتسب إلى شرفاء الأندلس بغرناطة، وتكلم عن زاويته التي كان يعلم فيها طلبته، ثم وفاته، وقد أورد في آخر هذا القسم قصيدة طويلة رثى فيها الشيخ سعيد قدورة شيخه المجاجي . وفي خاتمة الكتاب بين فضل حب آل البيت، مستدلا على ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، كما نقل بعض أقوال العلماء المسلمين في فضلهم والدعوة إلى محبتهم.

وأما كتاب ابن بكار المسمى "**نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة**" فقد شرح فيه نظمه الذي ألفه في سنة 1379هـ وهي منظومة ذكر فيها مناقب وفضائل أولياء الله، خاصة الذين ينتسبون إلى منطقة غريس، والغرب الجزائري، فترجم لأجداده الذين كانوا ينتسبون إلى الطريقة الطيبية، إضافة إلى الأولياء المشهورين في عصره مثل الشيخ عدة بن غلام الله مؤسس الطريقة البوعبدلية، وتلميذه الشيخ محمد الميسوم، دفين قصر البخاري، والشيخ بن عبد الله الغريسي، والشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي الذي ذاع صيته وانتشرت طريقته في عصره، وذكر انه له معرفة شخصية معه.

وبذلك يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي أرخت لتاريخ التصوف وطرقه في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وذكر لنا ترجمة مطولة له في شكل سيرة ذاتية، ذكر فيها تعلمه وشيوخه في العلوم الشرعية، وأساتذته في التصوف، وذكر إجازاته التي أجازه بها شيخه محمد المنور الذي درس عنده في مدينة سيق.

وظهر خلال أواخر العثماني وبداية عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر التأريخ لشيوخ التصوف المؤسسين للطرق وأصحابهم، فقد ترجم الشيخ مصطفى بن الحاج البشير لشيخه الزياني كتاب **"طهارة الأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية"** فتحدث فيه عن مناقب مؤسس الطريقة الزيانية، وألف هذا الكتاب بعد وفاة شيخه الزياني بقليل فجمع فيه بين الحديث عن المناقب وبين مناهج التربية والسلوك في الطريقة الزيانية[13].

كما جمع الشيخ للشيخ محمد بوزيان بن أحمد الغريسي المعسكري (ت 1271هـ، 1854م) في كتابه **"كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الاخيار"**[14] تراجم لمؤسس الطريقة الدرقاوية الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وتلامذته الذين انتشروا في الجزائر والمغرب الأقصى في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

ومن شيوخ الطريقة الدرقاوية الذين ترجم لهم في كتاب مستقل شخصية الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي، الذي ترجم له تلميذه الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي في كتابه **"برهان الخصوصية في الطريقة البوزيدية"**[15] الذي ذكر فيه سيرته ومناقبه وكراماته إضافة لجمع بعض قصائده التي نظمها في مواضيع مختلفة في التصوف الإسلامي.

ويعد **"كتاب الروضة السنية في المآثر العلاوية"**[16] للشيخ عدة بن تونس من أهم الكتب التي أرخت للشيخ العلاوي ودعوته الصوفية، فتتبع فيه مؤلفه مراحل حياة شيخه العلاوي، وأهم نشاطاته الدعوية، والإصلاحية، وذكر فيه بعض أعماله التي من أهمها تأسيسه للطريقة العلاوية في سنة 1333هـ ، 1914م، ثم بين خصائص هذه الطريقة التي لم تقتصر على السلوك الصوفي فقط، بل كانت تعتمد على نشر تعاليم الدين الإسلامي، فقد أسلم على يد مؤسس هذه الطريقة العديد من الأوربيين من مختلف شرائح المجتمع، فمنهم المدرس ومنهم الصحفي والموظف.

وقد ترك لنا شيوخ الطريقة الرحمانية العديد من الكتب التي ترجمت لشيوخ هذه الطريقة، فترك لنا للشيخ محمد الجعدي (ت 1281هـ ، 1864م) رسالة في ترجمة وجيزة لمؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري فذكر سيرة حياته ومناقبه، ومن كتب مناقب رجال هذه الطريقة كتاب **"البحر الطافح في بعض مناقب شيخ الطريق سيدي محمد الصالح"** للشيخ إبراهيم ابن عامر السوفي ت 1934م الذي ذكر فيه المؤلف بعض كرامات

ومناقب صاحب الترجمة ومؤلفاته، كما تعرض لبعض المسائل الصوفية كالذكر والصحبة[17]. ومن كتب التراجم الرحمانية كتاب "**وسيلة الأمان في مناقب الشيخ علي بن عثمان**" للشيخ محمد المكي عزوز[18].

ويعتبر كتاب "**تعطير الأكوان في شذا نفحات أهل العرفان**" للشيخ محمد الصغير بن محمد الجلالي (ت 1338هـ 1920م) من الكتب التي جمعت تراجم رجال الطريقة الرحمانية مثل والد المؤلف الشيخ المختار الجلالي والشيخ محمد ابن أبي القاسم الهاملي، كما تضمن بعض قصائد ومراسلات رجال هذه الطريقة، وطبع هذا الكتاب في المطبعة الثعالبية سنة 1916م[19] .

ومن الكتب التي ترجمت لشيوخ الطريقة الرحمانية كتاب "**رسالة إلى كافة الإخوان في مناقب الشيخ علي ابن عثمان**" لإبراهيم بن علي بن عمر الطولقي[20]، و"**رسالة في مناقب الشيخ علي بن عمر**" للشيخ مصطفى ابن عزوز (ت 1288هـ، 1866م) وتكلم في هذا الكتاب عن فضائل وخصائص الطريقة الرحمانية وتحدث عن مسألة البحث عن الشيخ المربي وآداب المريد مع شيخه[21].

وتعد شخصية الشيخ محمد أبي القاسم الهاملي من الشخصيات المهمة التي عرفت نشاطا كبيرا في نشر تعاليم الطريقة الرحمانية، وسعت لتعليم العلم الشرعي من خلال تأسيسه لمعهد زاوية الهامل، فاهتم تلامذته بالترجمة له، حيث ألف تلميذه الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز البرجي (ت 1334- 1918م) للترجمة لشيخه كتاب "**بروق المباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم**"، وله منظومة "**نفح المواسم في التوسل بنسب الشيخ محمد ابن أبي القاسم**"، وهي قصيدة عدد أبياتها 66 بيتا، التي ذكر فيها مناقب شيخه[22].

وترجم للشيخ الهاملي أيضا تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت 1340هـ-1921م) في كتابه "**الجواهر الغالية في شرح القصيدة الدالية**" شرح فيه قصيدته في مدح شيخه محمد ابن أبي القاسم[23] . ويعد "**كتاب الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد ابن أبي القاسم**" للشيخ محمد بن محمد ابن أبي القاسم الهاملي (ت 1332 - 1914م) من أهم الكتب التي ترجمت لمؤسس زاوية الهامل فذكر كراماته ومرائيه كما تكلم عن زاوية الهامل ودورها الثقافي والاجتماعي[24].

2- **الكتابات السلوكية**:

يعد هذا النوع من الكتابات في التصوف من أهم القواعد المؤسسة للتصوف في جانبه العملي والمشكلة لنشاط زواياه ومريديه، لهذا اهتم رجال الطرق الصوفية التي تأسست في الجزائر بالكتابة في هذا المجال من أجل رسم معالمها وشرح وكيفية عملها.

وقد ظهر هذا النوع من الكتابة منذ العصر الوسيط، فقد شرح الشيخ محمد الصباغ القلعي **"القصيدة المرادية"** التي نظمها الشيخ إبراهيم التازي وسماه **شفاء الغليل**[25]، وشرح الورتلاني القصيدة القدسية لعبد الرحمن الاخضري، وهي قصيدة في الآداب السلوك وسما شرحه **"الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"**[26]، واعتمد في شرحه على ما كتبه القشيري وأحمد زروق[27] .

وترك الشيخ محمد بن علي الخروبي مجموعة من الأعمال منها **"شرح على الصلاة المشيشية وشرح على الحكم العطائية"**[28] وكتاب **"الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة"** الذي شرحه الشيخ الطاهر المشرفي[29]. ويبدوا أن هذا الكتاب هو بيان أصول وآداب الطريقة الزروقية الشاذلية التي سلكها الشيخ الخروبي على شيخه أحمد زروق، وقد قرض هذا الكتاب الشيخ أبو راس الناصري إضافة إلى تقريظ الشيخ محمد بن مالك قاضي مدينة الجزائر[30].

وقد ترك الشيخ أبو راس الناصري بعض المؤلفات في التصوف التي تتعلق بالجانب السلوكي التربوي، فله شرح على حكم ابن عطاء الله الاسكندري سماه **"الزهر الأكم في شرح الحكم"** وشرح آخر لهذه الحكم هو **"فتح الإله في شرح حكم ابن عطاء الله"**، وله كتاب في مسائل متعددة في التصوف والتوحيد إسمه **"الحاوي بنبذ في التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي"**[31] .

وقد غلب على كتب الطريقة الرحمانية طابع التربية والسلوك وذكر آداب وأركان هذه الطريقة. فلمؤسس هذه الطريقة العديد من الكتابات في هذا المجال منها كتاب **"دفتر الدفاتر"** وهو مجموعة من الرسائل في الطريقة الرحمانية وآدابها، ويعرف أيضا بـ **"مجموع مولانا وسيدنا الأزهري القنوع"**، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر الطريقة الرحمانية فقد كثرت نسخه بين مريدي هذه الطريقة[32]، وهو يحتوي على مجموعة من الرسائل كل رسالة لها موضوعها الخاص

بها، إلا أنها تدور حول محاور التربية في الطريقة الرحمانية وآداب الخلوة وغيرها[33]. ومما تركه أيضا الشيخ محمد ابن عبد الرحمن الأزهري **"شرح على الريفاوي"** جمع فيه أصول طريقته وأركانها وآدابها والأسماء السبعة وما يتعلق بأصول التربية الروحية.

ولقد ألف شيوخ الطريقة الرحمانية العديد من الكتب والرسائل التربوية السلوكية، ولعلها من أنشط الطرق في الجزائر في الكتابة في هذا الميدان، فمن هذه الكتابات أيضا كتاب **"تبصرة السائلين في طريق السالكين"** للشيخ محمد الصادق بن رمضان البسكري ويعرف أيضا بـ **"السرائر في فتح البصائر"** وهو كتاب في الحكم والمواعظ[34]، وكتاب **"الجواهر المكنونة والعلوم المصونة"** للشيخ عبد الحفيظ الخنقي (ت 1266هـ- 1850م) وقد جمع فيه المؤلف مجموعة من رسائله في التصوف، ورد فيه على بعض المعاصرين له الذين قالوا أن السلوك انقطع والكرامات انقطعت أيضا[35]، كما خصص أيضا هذا الكتاب لإصلاح المريدين وكيفية السلوك بهم في الطريق[36]، فعالج قضايا الولاية وأركان الطريق والشيخ والمريد والنفس ومراتبها، كما تكلم عن بعض المسائل العرفانية مثل مسألة الحقيقة المحمدية ومراتب الأولياء وحقائقهم[37] .

ومن مؤلفات الطريقة الرحمانية أيضا في بيان التربية والسلوك" **رسالة في الأنفاس والمقامات"** للشيخ محمد ابن أبي القاسم الهاملي (ت 1315هـ -1897م) وهي رسالة أرسلها المؤلف إلى الشيخ صالح القلي تكلم فيها عن المقامات والأنفاس السبعة وما يقابلها من الأسماء الإلهية التي كانت معتمدة في الطريقة الرحمانية، هذا إضافة إلى معالجة مسائل أخرى في التربية والسلوك في هذه الطريقة، مثل خصائص المريد السالك والمجذوب وما هي أحكام كل منهما[38]، وللهاملي أيضا **"المنظومة الأسمائية"** وهي قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنى عدد أبياتها 48 بيتا وتحدث أيضا فيها عن أركان الطريقة الرحمانية وآدابها وقد شرحها تليمذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي في كتابه **"فوز الغانم"**[39] .

ومن الكتابات التي بينت معالم السلوك في الطريقة الرحمانية أيضا كتاب **"النبذة اللطيفة فيما يلزم السائر في الطريقة المنيفة"** للشيخ علي بن عثمان بن علي بن عمر الطولقي (ت1316هـ- 1898م) وتكلم فيه عن ثلاثة محاور وهي الذكر والنفس والشيخ وما يتعلق بذلك من مسائل مستدلا على أقواله بالأدلة الشرعية الموجودة في الكتاب والسنة والإجماع[40]، ومن الكتب

السلوكية الرحمانية كتاب "**فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم**" للشيخ الحسين بن علي بن عمر (ت 1309هـ- 1891م) فترجم لشيخه في الطريقة الرحمانية الشيخ مصطفى بن عزوز وذكر سنده وتكلم عن بعض المفاهيم الموجودة في الطريقة الرحمانية مثل الخلوة والشريعة والحقيقة وصفات رجال هذه الطريقة[41].

وقد شرح الشيخ محمد العربي بن الفخار اللمداني في كتابه "**روض الجنان في شرح رسالة ابن عبد الرحمن**" رسالة شيخه محمد ابن عبد الرحمن الأزهري إلى مريديه، وهي تتعلق بآداب الطريقة الرحمانية وأركانها[42]. و شرح أيضا الشيخ الحفناوي بن علي بن عمر (ت 1314هـ - 1866م) في كتابه "**بهجة الشائقين**" ورد الشيخ مصطفى ابن عزوز[43]. وكل هذه الشروح في نفس الغرض وهو التربية والسلوك في الطريقة الرحمانية.

وهناك العديد من المنظومات التي ألفت في الطريقة الرحمانية لتعريف بها وبيان شروطها وأركانها منها "**منظومة بهجة الشائقين في روضة الانوار للعارفين**" لمصطفى ابن عزوز (ت 1288هـ- 1866م) وهي منظومة في الدعاء والمناجاة عدد أبياتها 63 بيت، وهي من أوراد الطريقة الرحمانية[44]، و"**المنظومة السندية**" للشيخ عطية ابن خليفة النايلي (ت 1862 1277هـ)، وهي منظومة عدد أبياتها 352 بيت، ذكر فيها سند الطريقة الرحمانية الخلوتية، كما ذكر نبذة عن آداب هذه الطريقة ومعالم السلوك فيها، كما تحدث عن شيخ التربية وآداب المريد مع شيخه وإخوانه، ومراتب النفوس وكيفية التدرج في تربيتها وترقيتها[45].

ومن هذه المنظومات أيضا "**منظومة علاج النفس**" للشيخ محمد المكي ابن عزوز (ت 1324هـ - 1916م) وهي قصيدة في تزكية النفس وتربيتها عدد أبياتها 42 بيت[46]، و"**منظومة قواطع الطريق**" لمحمد بن عزوز (ت1233- 1918م)، وهي في أصول الطريق وقواطعه[47]. وشرح المؤلف هذه المنظومة في رسالة "**المريد في قواطع الطريق**" وذكر فيها مجموعة من القواطع التي تعيق المريد في السير إلى الله[48].

وتعد "**المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية**" للشيخ عبد الرحمن باش تارزي من أطول المنظومات فهي تتألف من 500 بيت، بينت قواعد وأصول الطريقة الرحمانية وهي كالمنظومات الأخرى، ولكنها أكثر توسعا وتفصيلا[49]. وللشيخ باش تارزي أيضا

كتاب "**غينية المريد في شرح نظم مسائل كلمتي التوحيد**"، وهذا الكتاب في بيان معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله وشروط ذكرها وآدابها وإعرابها كما أجاب على بعض الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، وهذا لم يمنعه من ذكر أداب وأركان الطريقة الرحمانية مثل الأسماء السبعة، وآداب المريد مع شيخه[50].

وقد عرفت الطريقة الدرقاوية بطرقها وفروعها المختلفة العديد من الإسهامات في مجال الكتابة السلوكية منها كتاب "**خاتمة الرسائل لأهل الوسائل**" الشيخ عدة بن غلام الله الذي يمكن الاطلاع من خلاله على التجربة الروحية للمؤلف، والتي يمكن تقسيمها إلى مرحلتين هما: مرحلة البحث عن المعرفة والسلوك الروحي إلى غاية الفتح الإلهي، وكما يسميه الشيخ بفتح باب القلب، والمرحلة الثانية هي مرحلة ما بعد الفتح، وهي وصول الشيخ إلى حالة اتصال مع الله من خلال الترقي في المقامات والأحوال، والتي عبر عنها في مؤلفاته وقصائده الشعرية[51].

وللشيخ محمد بن سليمان مجموعة من الكتابات السلوكية منها "**رسالة أصالة الطريقة السليمانية**"[52] التي قام فيها بالتعريف بالطريقة التي ينتمي إليها والطرق التي أذن فيها، وذكر أسانيده في الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وذكر أنواع شيوخ التربية والسلوك، فذكر شيخ الولادة، وشيخ التربية، وشيخ التكميل. وقد مر الشيخ محمد بن سليمان بتجربة تعدد المشايخ، والتنقل بين عدة شيوخ وطرق، إضافة لطريقته الصوفية البوعبدلية، فذكر أنه أجيز في مشهد غيبي في الطرق: القادرية، والطيبة، والشاذلية، والتجانية. وذكر أن له وجوه أخرى في الإذن بهذه الطرق. وقد قام بنفس التجربة شيخه قدور بن سليمان، الذي انتقل بين عدة شيوخ، وكذلك الأمر بالنسبة لشيخ شيوخه الشيخ عدة بن غلام الله، الذي تلقى عدة طرق صوفية على العديد من الشيوخ.

وقد أشار المؤلف في هذه الرسالة إلى إشكال موجود في الطرق الصوفية، وهو التمييز بين شيوخ التربية وطرق التصوف، فقد قال أن من يعظم شيخه وينقص غيره من المشايخ فإنه يكون محروما من شيخه ومنهم[53].

ويرى محمد ابن سليمان أن شيوخ التربية كلهم مقاديم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك لا يجب التفريق بينهم، وذكر أن مقصود الكل إقامة الشريعة المحمدية، ثم الانتقال إلى

أسرارها وحقائقها، وركز في هذا المؤلف على أهمية التزام المريد بالشريعة فقال: "كل من خرج عن الشريعة فليس من الطريق، فإن الطريقة هي الشريعة"[54].

ومن رسائله أيضا رسالة "**تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار**" التي أجاب فيها على سؤال الفقيه الشيخ أحمد بلقاسم الشقروني الورشيمي بخصوص إذن المؤلف للتربية في طرق صوفية متعددة خاصة جمع الطريقة التجانية مع طرق أخرى، وهو ما يخالف شروط الإذن في هذه الطريقة المعروفة، وهي اشتراط الانسلاخ عن الطرق الأخرى لأخذ هذه الطريقة[55].وقد اعترف ابن سليمان أنه لا يجهل ذلك وقد حاول رفع هذا الإشكال في هذه الرسالة.

وللشيخ العلاوي إسهامات في مجال التربية الروحية الصوفية من أهمها كتاب "**المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية**" وهو شرح لحكم سيدي أبي مدين شعيب، وقد ركز فيه على الجانب التربوي والسلوكي للمريد، فطريق التصوف على العموم وطريقة الشيخ العلاوي على الخصوص هي طريق مبنية على تربية المريدين وإرشادهم، وتحتوي هذه التربية على عدة أعمال يجب أن يقوم بها المريد والتي من بينها وأهمها ذكر الله، والتحلي بمقامات اليقين كالتوبة والصبر والشكر والرضا وغيرها.

وقد خصص الشيخ العلاوي مواضيع كثيرة في كتابه المنح القدوسية لأساليب تربية وإرشاد المريدين، فتحدث عن طبيعة العلاقة التي يجب أن تربط بين المريد والشيخ، وقد استلهم إشارات عديدة حول شروط الشيخ المرشد الدال على الله من عبارات متن ابن عاشر في باب شروط الإمامة في الصلاة، كما استلهم أشارات أخرى من هذا المتن عن أوصاف المريدين الذين لهم الأهلية في الحصول على ثمار طريق التصوف في فصل أصناف من تجب فيهم الزكاة وغيرها من الإشارات. التربوية والسلوكية.

ومن الكتابات التربوية في الطريقة الدرقاوية كتاب "**الدرر المنتثرة في أجوبة الأسئلة العشرة**" للشيخ الهاشمي التلمساني وسبب تأليف هذه الرسالة هو مجموعة من الأسئلة سألها الشيخ قاسم القيسي مدرس المدرسة القادرية وخطيبها ومفتي العراق، وتمحور هذه الأسئلة حول مجموعة من الإشكالات والقضايا في التصوف الإسلامي والتربية والسلوك، ويمكننا حصرها في مجموعة من المسائل وهي مسألة الكرامات وسبب كثرتها عند الصالحين، ومسألة المراقبة عند الولي، وهل

يشترط دوامها، ومن المسائل التي طرحت أيضا مسألة الاشتغال بالذكر من الشيخ الواصل، وهل يشترط كثرته، ومسألة الإشارات والألغاز الموجودة في التراث الصوفي .

ومن كتابات الشيخ الهاشمي أيضا رسالة "**الحل السديد لما استشكله المريد**" وسبب تأليف هذه الرسالة هو سؤال ورد إلى الشيخ الهاشمي من الشيخ عبد القادر إمام المنصورة، ونص هذا السؤال هو: " ثم المرجو من سمو جنابكم أن توجهوا أنظاركم لمسألة أشكلت علينا وتدقق عليها النظر وتحققها، وهي قولهم ما أفلح ملتفت، ما أفلح مريد بين شيخين، مريد بين شيخين كالمرأة بين رجلين، لا يفتح على مريد التفت إلى طريق آخر من الطريق الأول، وربما كان أخذه لطريق ثان قاطعا من القواطع"[56].

وللشيخ أحمد الشريف بن محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي كتاب "**الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**" الذي جمع فيه أركان الطريقة السنوسية وتعاليمها ومشاهير رجالها، وأسانيد مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي في كتب الحديث والطرق الصوفية وآداب السلوك في هذه الطرق، كما تضمن الكتاب مجموعة من الأوراد والأحزاب، أما سبب تأليفه فهو يرجع لجهل الناس بأصول هذه الطريقة وأسانيدها، ويرى المؤلف أن معرفة الأسانيد المتصلة من أعظم المهمات[57].

وللشيخ عبد القادر المجاوي "**شرح على منظومة المنزلي في آداب المريدين**" في بيان معالم التربية والسلوك في الطريقة القادرية، فقد تحدث فيه المؤلف عن شروط أخذ أوراد هذه الطريقة وشروط الشيخ الذي يتصدى للتربية والإرشاد وصفات المريد الذي يصلح للتربية وغيرها من محاور التربية والسلوك في الطريقة القادرية.

3. **الكتابات العرفانية**:

تعد الكتابة العرفانية من أعلى مستويات الكتابة الصوفية وهي بمثابة ثمرة العمل السلوكي الدؤوب الذي يقوم به المريد من أجل الوصول إلى المقامات والأحوال التي تربطه بربه، فتنكشف له بعض الحقائق والإشارت عن الصفات التجليات الإلهية، وهذا النوع من الكتابة

كان له حضور كبير في المدونة الصوفية الجزائرية في مختلف طرقها مع تفاوت في مستويات هذه الكتابة من ناحيتي النوع والكم والمرجعية.

ومن الكتب العرفانية المتقدمة كتاب "**محجة القاصدين وحجة الواجدين**" لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن البجائي، الذي شرح في هذا الكتاب رسالة الشيخ عبد العزيز المهدوي المسماة "**الرسالة المحتوية على إشارات أهل الدلالة**"[58]، ويبدو أنه قد جمع في هذا الشرح بين السلوك والعرفان الصوفي.

وقد ترك مؤسس الطريقة الرحمانية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري مجموعة من الرسائل التي جمعت بين معالم السلوك والحقائق العرفانية منها رسالة "**خلوة الجمل**"، وهو مجموعة من المرائي والواردات التي رءاها في خلوة الجمل في طريقه من دارفور إلى القاهرة[59]، ورسالة "**خلوة السرداب**" التي تضمنت أيضا مرائيه بخلوة السرداب التي مكث بها ثلاثة أشهر في السودان[60]. ومن رسائل الأزهري أيضا "**رسالة فتح الباب وختم الكتاب**" الذي ضمنه آداب الخلوة وشروطها ونتائجها[61]، ورسالة "**طي الانفاس والأسماء السبعة**" وهو مجموعة من الرسائل في أداب وشروط طريقته وما يتعلق بتزكية النفس وترقيتها في المقامات والأحوال[62].

ومن الكتابات العرفانية التي ألفت في الطريقة الرحمانية "**كتاب الهواتف**" للشيخ محمد التارزي بن عزوز[63]، وقد اشتمل هذا الكتاب على مجموعة من المواعظ والإرشادات في الطريقة الرحمانية، وجاء هذا الكتاب على منوال كتاب مواقف النفري وهي بعض الحقائق والإشارات الوهبية، ومن مواضيعه المحبة والذكر والمبشرات .

وقد ألف الشيخ ابن عبد الله الغريسي العديد من الكتابات العرفانية والتي لا تزال مخطوطة، وغالب هذه الكتابات رسائل صغيرة، فلا يتعدى بعضها بضع ورقات، وتتنوع هذه الرسائل بين الكتابة الشعرية والنثرية، ومن هذه الرسائل التي تمكنا من معرفتها رسالة "**سلسلة الخطوط**" التي مثل فيها الحضرات بجداول وخطوط حمر وسود، فرمز بالخطوط الحمر بكثرة النور، وبالسود لقلته، وفي نهاية هذا التأليف جداول تبين مقامات وأحوال الأولياء[64].

ومن كتب الغريسي العرفانية "**كتاب مشكاة الأنوار وحقيقة حقائق الأسرار**" وهي شرح للمقالات الخمس لسيدنا علي ابن أبي طالب التي أجاب بها سيدنا كميل[65] . ورسالة "**الشطحات المتشابهات**"، أجاب بها عن شطحات الجيلي والبسطامي والحاتمي وغيرهم[66]. ورسالة "**فتوح أكمام الزهر في تشبيه الصوفية بأهل بدر**" وهي تقع في أربع ورقات، شرح فيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فالينظر إلى أبي بكر الصديق، وتنتهي الرسالة بقصيدة في 36 بيت مطلعها:

ففق يا صوفي *** وارقص في أمن[67]

وهناك رسائل أخرى في شكل منظومات شعرية مثل رسالة "**جواب عن سؤال في الحضرة**" هو عبارة عن قصيدة في 73 بيتا ومطلعها :

لئن سألتني عن شأن الذكر *** والحضرة وما فيها لا يزري[68]

و"**القصيدة الشهودية**" تقع في 67 بيت مطلعها :

لا اله إلا الله *** اذكروا اسم الجلالة[69]

و"**منظومة سفينة السلوك إلى حضرات ملك الملوك**" وهي جواب على سؤال الذي جاءت نظما مطلعها :

لئن سألني عن الأقطاب *** نعيناهم من واسع الشراب[70]

وله أيضا "**جواب في رفع الإشكال من كلام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه**" وهو في نظم يحتوي في 88 بيت مطلعه

فكن معدن الخير واصفح عن *** الأذى فاذكر ما علمت وسامع[71]

ويعد الشيخ محمد بن سليمان المستغانمي من الذين برعوا في الكتابة العرفانية فكتب العديد من الكتابات في هذا الميدان، و هي في غالبها أجوبة على أسئلة كان يسألها علماء عصره وصوفيتها، من الجزائر والمغرب الأقصى، فمن علماء المغرب الذين اتصل بهم الشيخ بن سليمان الحافظ

المحدث الشيخ عبد الحي الكتاني ووزير المعارف المغربي الشيخ محمد الحجوي، والشيخ محمد ابن الحبيب المكناسي، فقد كانت للشيخ علاقات علمية نشيطة معهم، فكان يراسلهم ويجيب على أسئلتهم، كما كان يرد على من خالفه في أرائه فانتهج أساليب الحجج والبراهين.

وقد طبع الشيخ محمد ابن سليمان العديد من هذه الرسائل في المطبعة الثعالبية وجمعها في كتابه الذي عنونه بـ **"الإرشادات الربانية إلى المعارف اللدنية على المناهج الشرعية"**، وقد أعاد طبعه الباحث بومدين بوزيد، مع إضافة بعض الرسائل وعنونها بـ**"دساتير إلهية"** طبعت بدار الكتب العلمية ببيروت سنة 2007م، وقام الباحث حمدادو بن اعمر بنشر رسائل أخرى في كتابه عرفانية الخطاب في المغرب الأقصى والأوسط وطبعه في دار طليطلة بالجزائر في سنة 2011م.

من هذه الرسائل **"رسالة البرهان والعيان في معنى قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان"**[72]، أجاب فيها على سؤال الشيخ عليش الذي كان مقيما بمدينة مليانة، وقام في هذه الرسالة بدراسة مسألة وحدة الوجود التي تعتبر من أهم المحاور في التراث العرفاني الإسلامي.

ومن رسائله **"رسالة الفيض المديد في مسألة أبي يزيد"** ألف هذه الرسالة بسبب نقاش علمي جرى بين مريده الشيخ محمد بن رحال والشيخ مصطفى بن طالب، وهاذين الشيخين من كبار المثقفين الجزائريين في بداية القرن العشرين.

ومن المسائل العرفانية العويصة التي ناقشها في هذه الرسالة، مسألة الخلاف بين ابن عربي والجيلي حول ترتيب رتبتي العلم والمعلوم، فابن عربي يقول بتقديم رتبة المعلوم، والجيلي يقول بتقديم رتبة العلم، وأما محمد بن سليمان فيرى أن هذا الخلاف لا يتعدى كونه خلافا لفظيا، لأن التقديم بين رتبة العلم ليس له تقيد بالزمان والمكان، إنما هذا الترتيب تنزل إلى أرض العقول البشرية كما يقول.

وقد خاض في هذه المسألة العرفانية كل من الأمير عبد القادر في كتابه المواقف فتعرض لهذه المسألة في كتابه المواقف في الموقف 364 وأيضا ناقش هذه المسألة الشيخ بهاء الدين

البيطار الدمشقي في كتابه فتح الرحمن الرحيم بمقالة القطب عبد الكريم والختم ابن عربي محي الدين .

ومن كتابات ابن سليمان العرفانية "**رسالة اليواقيت الجليلة في معنى الحقيقة الكلية**"[73] وهي إجابة عن سؤال ورد إليه من الشيخ محمد العاصمي[74]، الذي أصبح من مريدي وتلاميذ الشيخ بن سليمان، ومن رسائله العرفانية أيضا "**رسالة في الكسب المنسوب**"[75] وهي إجابة عن سؤال سأله الشيخ القاضي حشلاف[76].

وكان الشيخ متابعا لكتابات علماء عصره فنراه "**شرح الصلاة الأنموذجية**"[77] للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وسبب تأليف هذه الرسالة كان دفاعا عن الشيخ الكتاني وعن علومه ومعارفه التي أثارت ضجة كبرى بالمغرب الأقصى، بعد أن ثار عليه فقهاء فاس ومراكش ورموه بالزندقة، وثارت عليه التهم الدينية والسياسية التي أدت في الأخير إلى اعتقاله وتعذيبه إلى غاية موته شهيدا في السجن في سنة 1909م . وبعد أن زار بعض المغاربة مدينة مستغانم أبدو رغبتهم في شرح هذه الصلاة. فلبى الشيخ ابن سليمان طلبهم. وقد شرح صلاة أخرى وهي صلاة الشيخ محمد بن الحبيب المكناسي[78].

وللشيخ ابن سليمان أيضا "**كتاب النفحة الربانية في التلميذية المختارية**" ويطلق على هذه الرسالة إسم آخر هو "**المنحة الوافية في الطريقة القدورية المختارية**"[79]. والمسائل التي تطرق لها في هذه الرسالة أن الولي لا ينقطع مدده بموته بل يزيد مدده بعد تخلصه من قيد البشرية[80]، فلا ينقطع المريد بروحانية شيخه بعد مسافة أو بموت، ولكن تشترط المحبة في هذه الرابطة الروحية[81].

ويعد الشيخ ابن يلس أبرز شيوخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر في بداية القرن العشرين، وقد عرفت كتاباته الصوفية بعدا عرفانيا عميقا مستمدا من النظريات العرفانية الموجودة عند كبار العارفين، مثل مسألة التجليات الإلهية، ووحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، ويظهر ذلك عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المبثوثة في رسائله.

وقد خلف الشيخ العلاوي العديد من الكتابات العرفانية والتي كانت في شكل كتب ورسائل،حيث بدأ الكتابة فيها منذ حياة شيخه فكتب رسالة "**معراج السالكين ونهاية الواصلين**"[82] التي تعد من أول ما كتب، وهب شرح على قصيدة شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي التي مطلعها:

لما فنيت الفنا ما بقيت إلا أنا في الحس وفي المعنى أنا الطالب المطلوب .

وسبب تأليف رسالة معراج السالكين يعود لكثرة الإنكار والانتقاد لمعاني وإشارات هذه القصيدة. وكتب الشيخ العلاوي أيضا رسالة "**الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد في معنى انطواء الكتب السماوية في نقطة بسم الله الرحمن الرحيم** " وقام بتفسير سورة النجم في رسالة "**لباب العلم في تفسير سورة النجم**" التي تحدث فيها عن معجزتي الإسراء والمعراج النبوي الشريف وحقائقه[83].

ومن كتاباته أيضا كتاب "**مفتاح الشهود في مظاهر الوجود**" ومما جاء فيه بيان لبعض مباحث علم الفلك بأشكال ورسومات ملونة تمثل الأراضي السبع ومواقعها والسموات، وشكل الأرض وحركتها أمام الشمس وغير ذلك[84]

وله أيضا "**رسالة دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم**" هي رسالة قصيرة، أعطى فيها الشيخ العلاوي مفهوما ومعنى جديدا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسبب تأليفها هو الإجابة عن سؤال وصله من عند الشيخ محمد بن الحبيب بن الصديق المكاسي صاحب الطريقة الحبيبية الدرقاوية[85] .

ومن أهم كتب الشيخ العلاوي العرفانية كتاب "**المنح القدوسية**"[86] الذي ضمنه العديد من المباحث العرفانية مثل حقائق الوجود والتوحيد والحقيقة المحمدية، ومن أهم مواضيعه التنبيه على البعد الإشاري للموجودات، فهذا الوجود وما حوى يعتبر مجموعة مكثفة من الرموز الإشارات الإلهية الدالة على علوم ومعارف تصل إلى العارف لتكون له عونا في سيره، أو علوما ناتجة عن التجليات الإلهية . فكان بذلك كل شيء له رمز وإشارة وكل شي قابل للتأويل.

ويعد كتاب المواقف الأمير عبد القادر من أهم الكتب العرفانية على الإطلاق في تاريخ الجزائر، وكان لهذا الكتاب عمقا كبيرا ومرجعية واضحة للمدرسة الصوفية الأكبرية التي أسسها الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي في بداية القرن السابع الهجري.

ويتألف هذا الكتاب من مقدمة في شكل مقامة، وتحتوي هذه المقدمة أيضا على مجموعة من القصائد التي نظمها الأمير، ثم تلتها مجموعة من الفصول، كل فصل يشكل موقف وعددها 372 موقفا. ويختلف حجم هذه المواقف أو الفصول، فمنها من لا يتعدى بضعة سطور وبعضها يستغرق عشرات الصفحات[87].

ومن أهم المحاور التي اعتمد عليها هذا الكتاب مسألة وحدة الوجود، وما يتفرع عنها من قضايا توحيد الأفعال وأحدية الذات ووحدة الأسماء والصفات. ومسألة حقيقة الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، ويتمثل ذلك في الحقائق الإلهية التي اختص بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[88] .

ومن قضايا كتاب المواقف أيضا مسألة مراتب الوجود التي خصص لها الموقف 248، الذي يقع في أربعين فصلا تجاوز 70 صفحة، وقد جعل له عنوانا مستقلا هو "**بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب**". وخصص بعض المواقف لبعض المسائل الكلامية والعرفانية، مثل الموقف 209 الذي خصصه لحقيقة كلام الله تعالى، ومسألة الرحمة والوجوب الإلهي في الموقف 250، وغيرها من المسائل[89].

4. مؤلفات في الدفاع عن التصوف:

ان النشاط الكبير الذي عرفه التصوف في الجزائر لقى جملة من الإنتقادات من الفقهاء لاعتقادهم أن هذا المجال غريب عن الشريعة الإسلامية وليس له أصول يستند اليها، ولذلك ظهرت مجموعة من الردود تدافع عن التصوف وشرعيته الذي استمد مباحثه وحقائقه من نصوص الكتاب السنة .

من أقدم الكتابات التي دافعت عن التصوف وشيوخه رسالة "**نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير**"[90] للشيخ محمد بن يوسف السنوسي رد فيها على الفقيه المغربي أبي الحسن الصغير.

وقد ساهم شيوخ الطريقة الرحمانية بمجموعة من الكتابات التي دافعت عن التصوف وشرعيته كما دافعت على شرعية الأساليب والمناهج التربوية التي اعتمدتها هذه الطريقة في تربية مريديها فكتب الشيخ محمد أمزيان بن الحداد (ت 1288-1871م) **"كتاب أطوار الطريقة الرحمانية"** الذي أصل فيه لمشروعية الذكر والدفاع عن التصوف الذي اتهم بالبدعة، كما ناقش بعض مسائل التي طرحها عليه المريدين[91]، مثل المشيخة وشروطها ويضم هذا الكتاب اثني عشر بابا وخاتمة، وهي تتمحور حول الذكر وآدابه وشروطه، والمحور الثاني ما يتعلق بشروط الشيخ وضرورته للمريد[92]، وقد قام عمار طالبي بدراسة وتحليل هذا الكتاب في مقال له في مجلة الأصالة، ثم نشره أخيرا في دار البصائر بالجزائر .

ومن مؤلفات الطريقة الرحمانية في هذا المجال مؤلف في **"رد اعتراضات بعضهم على الطريقة الرحمانية"** للشيخ عبد الرحمن باشتارزي (ت 1222هـ - 1807م) الذي رد فيه على بعض اعتراضات المعاصرين بخصوص ما يتعلق بالذكر وكيفيته وشروط الشيخ وواجباته كما دافع عن شيخه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري فذكر بعض صفاته وأقواله[93].

وللشيخ محمد المدني بن عزوز البرجي (ت 1285هـ 1868م) **"رسالة في طهارة الطريقة الرحمانية"** دافع المؤلف في هذا الكتاب عن الطريقة الرحمانية وبين التزامها بالكتاب والسنة[94]، ودافع عن بعض المسائل الموجودة في هذه الطريقة مثل البندير والسماع وتلقين الاسماء السبعة وغيرها[95] .

وكتب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت 1339 هـ -1921م) كتاب **"رفع النقاب عن شبهة بعض المعاصرين من الطلاب"** رد فيه على رسالة محمد بن الخمار وانتصر لشيخه محمد ابن أبي القاسم الهاملي[96]، وقد ترجم له في هذا الكتاب فذكر أوصافه وشيوخه ثم شرع في الدفاع عن مرائيه التي جمعها ابن أخ الشيخ[97].

ولمؤسس الطريقة العلاوية الشيخ أحمد ابن مصطفى العلاوي مجموعة من الكتابات في الدفاع عن التصوف منها كتابه **"القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف"** وهو عبارة عن رسالة رد فيها على كتيب يسمى المرآة لإظهار الضلالات للشيخ عثمان بن المكي التونسي، ناقشه خلالها على مجموعة من المسائل فرأى عثمان بالمكي أن بعض ما يقوم به الصوفية يعد من البدع

المحرمة، وأوضح له الشيخ العلاوي أن هذه المسائل بالأدلة العقلية والنقلية وأقوال العلماء، أنها بخلاف ما يرى .

وللشيخ العلاوي أيضا "**رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف**" وهي مجموعة مقالات نشرها في جريدة البلاغ الجزائري بإمضاء الناصر معروف، رد فيها على مقالة لأحد علماء المدينة المنورة نشرها في جريدة الشهاب في العدد 174، وقد دافع الشيخ العلاوي في كتابه عن التصوف ومشروعيته بالأدلة العقلية والنقلية، من الكتاب والسنة، وأقوال علماء السلف والخلف، وقد جمع هذه المقالات ونشرها لأول مرة الشيخ محمد الهاشمي التلمساني في دمشق سنة 1931م وذيلها بمجموعة من التقريضات لعلماء الشام والقرويين، وأعادت طبع هذه الرسالة المطبعة العلاوية طبعات أخرى.

ومن كتابات الشيخ العلاوي التي دافعت عن بعض القضايا الموجودة في التصوف رسالة "**القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد**" الذي تناول فيه الحكم الشرعي من ذكر لفظ الجلالة (الله) مفردا، وقد نشره أولا في صحيفة البلاغ الجزائري كمقالات مسلسلة، في الأعداد 69-70-71، ثم جمعها الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني وطبعها في دمشق وذيلها بمجموعة من تقريضات وإضافات لبعض علماء جامع القرويين بفاس.

ولخليفة الشيخ العلاوي الشيخ عدة بن تونس رسالة "**وقاية الذاكرين من غواية الغافلين**" التي دافع فيها عن التصوف ومشروعيته، وانتهج نفس أسلوب شيخه العلاوي بالاعتماد على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المسلمين، فقسم كتابه إلى ثلاثة مباحث أولها فضل الذكر، والمبحث الثاني في الجهر بالذكر، أما المبحث الثالث فخصص لبيان حكم الحركة في الذكر والاهتزاز[98].

كما تصدى الشيخ عمر بن قدور للدفاع عن الطريقة التجانية وأساليبها التربوية في كتابه "**الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة**" الذي رد فيه على بعض انتقادات التي وجهتها مجلة المنار لصاحبها رشيد رضا على الطريقة التجانية[99].

خاتمة ونتائج:

يعد هذا البحث كخلاصة عامة للتعرف على الكتابات الصوفية في الجزائر في مختلف الطرق والمدارس الصوفية، وبتنوع أصناف هذه الكتابة في السلوك والتربية والعرفان والتاريخ والمناقب، إضافة إلى الكتابة في الدفاع عن مشروعية التصوف وطرقه، ومن خلال هذا الاحصاء تم التوصل إلى بعض النتائج التي يمكن تلخيصها فيما لي:

1- تأثرت الكتابات الصوفية بانتماءاتها للطرق الصوفية المختلفة، فحسب اطلاعنا تبين أن كتابات الطريقة الرحمانية قد غلب عليها الجانب التربوي والسلوكي مع قلة في الكتابة العرفانية.

2- وبخصوص الطريقة الدرقاوية اهتمت بالكتابة العرفانية التي تركت عناوين كثيرة جدا مقارنة بما هو موجود في الطرق الأخرى، وقد نبغ فيها العديد من الأعلام من أشهرهم الأمير عبد القادر والشيخ محمد بن سليمان والشيخ العلاوي.

3- بخصوص كتب المناقب والتراجم الصوفية التي تواجدت في مختلف العصور والطرق تعتبر مصدرا آخر من مصادر علوم التصوف، إضافة إلى كونها مصدر مهما من مصادر التاريخ والثقافي والاجتماعي وحتى السياسي للجزائر لا يستغني عنها المؤرخ .

4- هناك بعض الطرق مثل القادرية والتجانية والطيبية لم تحتفي بالكتابة الصوفية مقارنة بالطريقتين الدرقاوية والرحمانية، ولعل سبب ذلك يحتاج إلى بحث ودراسة.

5- وما يمكن ملاحظته أيضا أن الكتابة الصوفية عرفت نشاطا كبيرا وغير مسبوق خلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر من ناحيتي النوع والكم .

الهوامش:

[1]- سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1998 ،ج 2ص 113.

[2]- المرجع نفسه، ج 2ص115.

[3] - المرجع نفسه، ج 2 ص116 .

[4]- المرجع نفسه، ج 2ص117.
[5]- المرجع نفسه، ج 2 ص121
[6]- المرجع نفسه، ج 2 ص 122
- المرجع نفسه، ج 2ص 132. [7]
[8]- نشر هذا الشرح القاضي بكار في كتابه **مجموع النسب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان ، الجزائر .
[99]- المرجع نفسه، ج 7، ص140.
[10]- المرجع نفسه، ج 2 ص129.
[11]- الناصري، أبو رأس، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، حياة أبي رأس الذاتية والعلمية، تحقيق محمد عبد الكريم ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ،1990. ص 180.
[12]- نشر الكتاب ياقوتة النسب الوهاجة بتحقيق حمدادوا ابن اعمر ونشر في دار قرطبة الجزائر 2011م.
[13]- المرجع نفسه، ج 2 ص127.
[14]- هذا الكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
[15]- يوجد هذا الكتاب مخطوط مخطوط بأرشيف المطبعة العلاوية بمستغانم، رقم 0056 :م.ع.
[16]- طبع كتاب **الروضة السنية في المآثر العلاوية** في المطبعة العلاوية مستغانم الجزائر.
[17]- القاسمي، عبد المنعم، **الطريقة الرحمانية الأصول والآثار**، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، الجزائر 2012م، ص587.
[18]- المرجع نفسه، ص ص 638-639. .
[19]- المرجع نفسه، ص 589.
[20]- المرجع نفسه، ص 594.
[21]- المرجع نفسه، ص ص 594 ، 597.
[22]- المرجع نفسه، ص ص 633،638.
[23]- المرجع نفسه، ص 639.
[24]- المرجع نفسه، ص 598-604.
[25]- سعد الله، مرجع سابق، ج 2 ص129.
[26]- المرجع نفسه، ج 2 ص130.
[27]- المرجع نفسه، ج 2 ص130.
[28]- المرجع نفسه، ج 2ص134.
[29]- المرجع نفسه، ج 2 ص133.
[30]- المرجع نفسه، ج 2 ص133.
[31]- الناصري، فتح الإله، مصدر سابق، ص 180 .
[32]- القاسمي، مرجع سابق ص 532.
[33] - المرجع نفسه، ص 534 .
[34]- المرجع نفسه، ص 518.
[35]- المرجع نفسه، ص 518-519.
[36]- المرجع نفسه، ص 520.
[37]- المرجع نفسه، ص ص 521- 532.

[38]- المرجع نفسه، ص 548.

[39]- المرجع نفسه، ص 605- 611.

[40]- المرجع نفسه، ص 557.

[41] - المرجع نفسه، ص ص 584 – 586.

[42]- المرجع نفسه، ص 639-640.

[43]- المرجع نفسه، ص 640.

[44]- المرجع نفسه، ص 612-615.

[45]- المرجع نفسه، ص 615- 620.

[46]- المرجع نفسه، ص 620.

[47]- المرجع نفسه، ص ص 625.

[48]- المرجع نفسه، ص ص 640-649.

[49]- المرجع نفسه، ص ص 625-633.

[50]- المرجع نفسه، ص ص 653- 666 .

[51]- يمكن الرجوع لكتاب **خاتمة الرسائل لأهل الوسائل**، تحقيق حمدادوا ابن اعمر، العربي بوعمامة ، دار كتاب ناشرون، بيروت لبنان، 2012م.

[52]- نشرت هذه الرسالة في كتاب **دساتير إلهية**، تحقيق بومدين بوزيد ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

[53] - محمد ابن سليمان ، **دساتير إلهية**، ص 19 .

[54] - المصدر نفسه، ص 17.

[55]- حمدادوا ابن اعمر، **عرفانية الخطاب عند علماء المغرب الأوسط والأقصى**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2011م . ص ص 114-115.

[56]- الهاشمي التلمساني، **الحل السديد لما استشكله المريد** ، دمشق، سوريا، بدون دار نشر، ص 06.

[57]- الكتاني، عبد الحي، **فهرس الفهارس والاثبات**، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 01 ص207

[58]-سعد الله، مرجع سابق، ج 2ص141.

[59]- القاسمي، المرجع نفسه ص 336.

[60]- المرجع نفسه ص 337.

[61]- المرجع نفسه ص 337.

[62]- المرجع نفسه ص 338.

[63]- المرجع نفسه ص 560.

[64]- شنتوف، العربي بن عبد الله المعسكري، **الحقيقة والمجاز في الرحلة الى الحجاز**، تحقيق مخلوفي الميلود المحفوظي، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، تظاهرة تلمسان عامة الثقافة الاسلامية، 2011،، ص 108

[65]- المصدر نفسه، ص 109.

[66]- المصدر نفسه، ص 109.

[67]- المصدر نفسه، ص 109.

[68]- المصدر نفسه، ص 108.

[69]- المصدر نفسه، ص 109.

[70]- المصدر نفسه، ص 110

[71]- المصدر نفسه، ص 110

[72] - نشر هذه الرسالة حمدادوا ابن اعمر، **عرفانية الخطاب عند علماء المغرب الاوسط والاقصى.**

[73]- نشرت هذه الرسالة في كتاب دساتير إلهية .

[74]- يعد محمد العاصمي من المثقفين الجزائريين و علماء الدين، فقد تولى الإفتاء على المذهب الحنفي كما تميز بكتاباته الصحفية في مختلف الصحف الجزائرية الصادرة في العشرينيات والثلاثينيات.

[75]- نشرت هذه الرسالة في كتاب دساتير إلهية.

[76]- قاضي الجلفة وصاحب كتاب سلسلة الأصول برسالة في الكسب المنسوب وما يتعلق به.

[77]- نشرت هذه الرسالة في وزارة الشؤون الدينية الجزائرية بتحقيق نصر عدي في سنة 2011.

[78]- الشيخ محمد بن الحبيب المغاري المكناسي، وهو أيضا من رجال التصوف ومؤسس الطريقة الحبيبة التي انتشرت في المغرب الأقصى والجزائر.

[79]- نشر هذه الرسالة حمدادو ابن اعمر في كتاب حمدادوا ابن اعمر، في كتاب **عرفانية الخطاب عند علماء المغرب الاوسط والاقصى.**

[80]- حمدادوا، عرفاينة الخطاب ص ص 34-35.

[81]- المصدر نفسه، ص 39.

[82]- يمكن الرجوع الكتاب **معراج السالكين ونهاية الواصلين**، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1992.

[83]- نشرت هاتين الرسالتين في كتاب **منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن**، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط5، 1997.

[84]- يمكن الرجوع لكتاب **مفتاح الشهود في مظاهر الوجود**، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط3، 1994.

[85]- يمكن الرجوع لكتاب **دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار**، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط3، 1991.

[86] - يمكن الرجوع لكتاب **المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية**، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط2، 1998.

[87]- الأمير عبد القادر الجزائري، **المواقف في بعض اشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، تحقيق عبد الباقي مفتاح، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005م. ص 30.

[88]- المصدر نفسه، ص 31.

[89]- المصدر نفسه، ص 32 .

[90]- نشر هذه الرسالة الاستاذ جمال الدين بوقلي حسان في دراسة بعنوان علم التوحيد عند الامام السنوسي .

[91] - القاسمي، مرجع سابق، ص 509 .

[92] - المرجع نفسه، ص 510.

[93]- المرجع نفسه، ص 573.

[94]- المرجع نفسه، ص 573 .

[95]- المرجع نفسه، ص ص 574 -578.

[96]- المرجع نفسه، ص 578.

[97]- المرجع نفسه، ص 581.

[98]- البحيصي، عوض الله بن حسن، **من أعلام الإصلاح الشيخ العلامة عدة بن تونس المستغانمي**، المطبعة العلاوية، مستغانم الجزائر ، ط 01، 1995م. ، ص ص 69- 170.

[99]- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وطريقته**، بدون دار نشر ص 121.